# عشْرة

من أوَّلِ لحظةٍ جمعت زياد وسما، كانت الحكاية بسيطة لكن جميلة، وكانت تكبر بهدوءٍ شديد، بيتٌ صغير، وحياةٌ عادية، وأيامٌ تتكرر، لكن داخل هذا التكرار كان هناك ما هو أعمق من ذلك بكثير، شيءٌ يشبه الطمأنينة حين تأتي على هيئة شخص تحبه حد العشق.

جاء الأولاد وأناروا الحياة: أحمد، ثم ليلى، ثم مريم، امتلأت بهم أيامهما، بين دفاتر المدرسة، وسهرات المذاكرة، ومشاوير الأطباء، وصور الأعياد التي كان زياد يصرُّ دائمًا أن يلتقطها رغم اهتزاز الكاميرا في يده كل مرة، كبر الأبناء، وتزوجوا، وبدأوا حياةً جديدة، وكل واحدٍ منهم كان له لونٌ مختلف يشبهه وحده

كان أحمد جادًّا، وأصبح أبًا لمالك وريم، وكان يحمل ملامح زياد، لكن مع الوقت صار أكثر هدوءًا أمام تفاصيل أولاده، وأنجبت ليلى نورًا وسليمًا، ونقلت إليهما إحساسها الهادئ، وكانت نور تغني لكاظم الساهر في أوقات الصمت، كأنها تفهم شيئًا لا يُقال، أمّا مريم، فكان لديها ياسين وملك، وكلاهما مختلف: أحدهما هادئ بعمق، والآخر مليء بالضحك والحركة.

أصبح الأحفاد الستة الجيل الجديد داخل الحكاية نفسها: مالك وريم، نور وسليم، ياسين وملك، كان كل واحدٍ منهم يحمل جزءًا من ملامح من سبقه، لكن بطريقةٍ مختلفة تجعل العائلة كلها متشابهة، وفي الوقت نفسه مختلفة.

كان مالك يرى البيت كأنه مخزنٌ للأغاني القديمة، فيشغّل "تملي معاك" ويقول إنها قديمة جدًا، من دون أن يعرف أنها مرتبطة ببداية قصة جدّه وجدّته، وكانت نور تغني بهدوء، بينما كان سليم صامتًا أغلب الوقت، يراقب أكثر مما يتكلم، وكانت ضحكة ياسين حاضرة في أي لحظة، أما ملك فكانت تحاول تقليد الكبار في الجدية، لكنها كانت تفشل دائمًا بشكلٍ لطيف.

وفي أمسيات الشتاء الطويلة، كانت سما تُحضّر الشاي بالنعناع، بينما يجلس زياد بجوار الراديو القديم يستمع إلى "على رمش عيونها" أو "بعيد عنك"، ثم ينظر إليها بنفس النظرة القديمة التي لم تتغير رغم مرور العمر، نظرة رجلٍ عرف أن الحب الحقيقي لا يُشبه القصص الصاخبة، بل يُشبه العودة إلى البيت بعد يومٍ طويل.

في تلك المرحلة، لم يعد زياد وسما بحاجة إلى كثيرٍ من الكلام، لقد صنع الزمن بينهما لغةً أخرى: نظرة واحدة، ولمسة بسيطة، وصمت طويل يفهم أكثر من أي جملة، حتى خناقاتهم الصغيرة أصبحت مألوفة ودافئة، تبدأ بسبب نسيان زياد للنظارة أو جهاز التحكم، وتنتهي بأن تبحث له سما عنهما وهي تتمتم بأنها ""عايشة مع طفل كبير.

أصبحت الموسيقى القديمة جزءًا من البيت: "ست الحبايب" في المناسبات، و"على رمش عيونها" في الليالي الهادئة، و"تملي معاك" في اللحظات التي يكون فيها الصمت أصدق من الكلام، لكن الأغاني فقدت معناها الأول، وأصبحت ذاكرةً متحركة تحفظ أعمارهم داخلها.

وفي عيد زواجهما الأربعين، جلس الجميع حولهما، الأولاد والأحفاد والضحكات والصور القديمة، بينما نظر زياد إلى سما من دون كلام، ففهمت أنه يرى كل شيء: البداية، والأولاد، والأحفاد، وكل لحظة بينهما، فردّت بابتسامةٍ بسيطة، كأنها تخبره أن كل ذلك لم يكن عمرًا مضى... بل كان اختيارًا مستمرًّا.

لم تكن الرومانسية بينهما اقتحامًا، بل كانت تراكمًا يوميًّا محمودًا، كل مرة اختارا أن يُكملا، وكل مرة صمتا بدلًا من أن يبتعدا، وكل مرة عادا إلى بعضهما من دون إعلان، لأن ما جمعهما لم يكن مجرد حب، بل عِشرة طويلة جعلت كلًّا منهما بيتًا للآخر، وراحةً لا يجدها في أي مكانٍ آخر مهما اتسعت الدنيا حوله.

.